

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف الانبياء والمرسلين
نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

قال الله تعالى: فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتْرَكَكُمْ أَعْمَالَكُمْ (35)
(سورة محمد)

شرح الكلمات:

فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم: أي فلا تضعفوا وتدعوا إلى الصلح مع الكفار.

وأنتم الأعلون: أي الغالبون القاهرون.

ولن يترككم أعمالكم: أي ولن ينقصكم أجر أعمالكم وثوابها.

المعنى الاجمالي :

قال تعالى: { **فَلَا تَهِنُوا** } أي: لا تضعفوا عن قتال عدوكم، ويستولي عليكم الخوف، بل اصبروا واثبتوا، ووطنوا أنفسكم على القتال والجلاد، طلبا لمرضاة ربكم، ونصحا للإسلام، وإغضابا للشيطان.

ولا تدعوا إلى المسالمة والمشاركة بينكم وبين أعدائكم، طلبا للراحة، { **وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتْرَكَكُمْ أَعْمَالَكُمْ** }.

فهذه الأمور الثلاثة، كل منها مقتض للصبر وعدم الوهن كونهم الأعلين، أي: قد توفرت لهم أسباب النصر، ووعدوا من الله بالوعد الصادق، فإن الإنسان، لا يهن إلا إذا كان أذل من غيره وأضعف عددا، وعددا، وقوة داخلية وخارجية.

الثاني: أن الله معهم، فإنهم مؤمنون، والله مع المؤمنين، بالعون، والنصر، والتأييد، وذلك موجب لقوة قلوبهم، وإقدامهم على عدوهم.

الثالث: أن الله لا ينقصهم من أعمالهم شيئا، بل سيوفهم أجورهم، ويزيدهم من فضله، خصوصا عبادة الجهاد، فإن النفقة تضاعف فيه، إلى سبع مائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة، وقال تعالى: { **ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْنُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نِيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** }

فإذا عرف الإنسان أن الله تعالى لا يضع عمله وجهاده، أوجب له ذلك النشاط، وبذل الجهد فيما يترتب عليه الأجر والثواب، فكيف إذا اجتمعت هذه الأمور الثلاثة فإن ذلك يوجب النشاط التام، فهذا من ترغيب الله لعباده، وتنشيطهم، وتقوية أنفسهم على ما فيه صلاحهم وفلاحهم.

فلا تضعفوا -أيها المؤمنون بالله ورسوله- عن جهاد المشركين، وتجنبوا عن قتالهم، وتدعوهم إلى الصلح والمسالمة، وأنتم القاهرون لهم والعالون عليهم، والله تعالى معكم بنصره وتأييده. وفي ذلك بشارة عظيمة بالنصر والظفر على الأعداء. ولن ينقصكم الله ثواب أعمالكم.

إن السلم أو الصلح له شرطان:

الشرط الأول: أن يكون من مبدأ القوة...!

الشرط الثاني: أن يكون من مبدأ الاحتراس...!

وعليه، فإنه هذا هو السلم الذي يريده الله -سبحانه وتعالى-.. وبعبارة أخرى:

أولاً: ليطلبوا هم السلام.

ثانياً: اجنحوا للسلم من منطلق القوة، لا من منطلق الضعف.

ثالثاً: احذروا من الخديعة ومكر الأعداء...!

أسباب النصر:

1- الإيمان بالله تعالى [باطناً و ظاهراً].

2- الصبر.

3- الإخلاص لله تعالى .

4- الإعداد المادي.

5- الائتلاف وعدم الاختلاف.

6- التوكل على الله والاعتماد عليه واللجوء إليه والتضرع بالدعاء إليه.

7- الإقدام وعدم الإحجام.

8- : مشاورة القائد [حاكماً أو قائداً] لأصحابه [أصحاب الرأي

والمشورة من أهل الحل والعقد وغيرهم] وإشراكهم في صناعة القرار.

9- الحذر من تسلل المنافقين والمخذلين.

10- كثرة الدعاء وكثرة ذكر الله.

شروط جواز الهدنة:

واشترط العلماء لجواز الهدنة أربعة شروط، وهي:

الأول: أن يكون العاقد لها الإمام أو نائبه.

الثاني: أن تكون لمصلحة.

الثالث: أن يخلو عقدها عن شرط فاسد.

الرابع: أن تكون مدتها معينة يعينها الإمام باجتهاده.

سنن الله في النصر والتمكين:

إن الله سننا لا تغير ولا تبدل في هذا الكون، ومنها سنة الله في النصر والتمكين لأوليائه منها.

أ.أن يكون للحق أنصار يحملونه ويدافعون عنه، ويضعون في سبيله ويسترخصون الحياة، ويطلبون ما عند الله -سبحانه وتعالى- بالغالي والنفس فالحياة كلها صراع بين الحق والباطل، فإذا تمسك أصحاب الحق بحقهم ودافعوا عنه هيئوا أنفسهم لنصر الله -عز وجل- قال تعالى:

(**بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون**). وقال تعالى: (**ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين**).

ب. مع اشتداد الأزمة والشدة يكون الفرج القريب قال تعالى:

(**حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين**).

وقوله تعالى: (**أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير**).

ج. إن النصر لا ينتزل إلا على من يستحقه قال تعالى:

(**وإن جندنا لهم الغالبون**).

وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ

مَعَكُمْ

سلسلة تفسير القرآن العظيم الإصدار رقم (388)



هذا هو الحق



قوانين من تفسير سورة ممتح إلى 35

تهدى ولا تباع

ولا تنسوننا من صالح دعائكم

أعدّها عزمي إبراهيم عزيز

9- النصر مع الصبر والفرج مع الكرب والعسر مع اليسر وهو نصر لصاحبه من الرجال بلاعدة ولاعدد ومحلّه من الظفر كمحل الرأس من الجسد وللصبر مكانته وفضيلته عند الله .

10- إن الله تعالى لم يكلف المسلمين في المدينة قتال عدوهم قبل ترتيب شئونهم، الدينية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، ولم يكلفهم ذلك إلا بعد أن أصبحت السلطة فيها للمسلمين بقيادة نبيهم صلى الله عليه وسلم، وكان غالب جهادهم في المدينة جهاد دفع عدوان عدوهم، وليس جهاد طلبهم له.

ومعلوم أن القاعدة الشرعية العامة، أن الله تعالى لا يكلف نفساً إلا وسعها، لأن القدرة هي مناط التكليف، ولهذا شرع عقد المسلمين الهدنة مع عدوهم، عند الحاجة أو المصلحة.

11- شرع الله تعالى للمسلمين الصلح والهدنة، عندما يفقدون القدرة على الجهاد، أو يرون فيها مصلحة راجحة، أو ضرورة لازمة، أو حاجة داعية، كما حصل في صلح الحديبية، بين الرسول صلى الله عليه وسلم وقريش، مع ما كان في هذا الصلح من الإجحاف بالمسلمين، الذين حزنوا حزناً شديداً لعقده، وقد كان في هذا الصلح من المصالح العظيمة، أن سماه الله تعالى "فتحاً" كما قال تعالى: ((إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً)) [أول سورة الفتح]

12- أن للمسلمين غُلُوَيْن: علو معنوي، وهو كونهم على الدين الحق الذي لا يقبل الله ديناً سواه، فهم الأعْلَوْنَ على غيرهم في هذا، وعلو مادي، وهو القوة التي يستطيعون بها محاربة العدو طلباً أو دفعاً، وهي التي أمرهم الله تعالى بها في قوله: ((وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة))

ولا شك أن العلو المعنوي وحده، بدون العلو المادي، غير كاف في تكليف الله تعالى المسلمين قتال عدوهم، لأنه تعالى: لا يكلف نفساً إلا وسعها.

13- إذا كان المسلمون أقوياء عدداً وعدداً، لم تجز لهم المهادنة والمسالمة، إلا لمصلحة راجحة يراها أولو الأمر، كالطمع في إسلام العدو ونحوه. وإذا كانوا ضعفاء عدداً أوعدة، جاز لهم مهادنة عدوهم ومسالمتهم على أساس الصلح المتاح.

والله اعلم

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

الفوائد:

1- حرمة الركون إلى مصالحة الأعداء مع القدرة على قتالهم والتمكن من دفع شرهم.

2- الوهن : الضعف والعجز ، وهو هنا مجاز في طلب الدعة . ومعناه : النهي عن إسلام أنفسهم لخاطر الضعف ، والعمل بهذا النهي يكون باستحضار مساوي تلك الخواطر فإن الخواطر الشريرة إذا لم تقاومها همة الإنسان دبّت في نفسه زويداً زويداً حتى تتمكن منها فتصبح ملكةً وسجيةً.

3- أن الدعاء إلى السلم المنهي عنه هو طلب المسالمة من العدو في حال قدرة المسلمين وخوف العدو منهم ، فهو سلم مقيد بكون المسلمين داعين له وبكونه عن وهن في حال قوة.

4- هذه الآية تدعو لأن يكون الإنسان المؤمن في تعامله مع الأجانب في موقع القوة!.. ﴿وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ﴾؛ هل العلو يكون بالقوة؟ لا!.. فالمسلمون في معركة بدر لم يكونوا كثيرين، إنما العلو هو من عظمة الله -عز وجل-.. فالعزة الإلهية، هي سند لعزة المؤمن.

5- أهمية جمع كلمة المسلمين، وأن ذلك سبب في النصر على عدوهم، وقد أمر الله - تعالى - بالاجتماع في آيات كثيرة محذراً منه، وداعياً لهم بالاعتصام بحبله المتين، وأخبر أن التفرق والتنازع سبب في حصول الفشل والهزيمة فقال سبحانه: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ 54

6- من أعظم وأقوى عوامل النصر الاستغاثة بالله - تبارك وتعالى -، وكثرة ذكره، لأنه القوي القادر على هزيمة أعدائه، ونصر أوليائه قال - تعالى -: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ 35.

7- الثبات في مقابل العدو من لوازم الإيمان الواقعي بالله.

8- الثبات عند لقاء العدو والمداومة على ذكر الله في ساحة القتال سبب فلاح المجاهدين.